رحلة الامام الشافعي

بقلمه

رواية تلميذه الربيع بن سليمان الجيزى

القاهرة

١٣٥٠

مُقَدَّمَةُ ٱلنَّاشِرْ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
ومن سار على سنته من أئمة الهدى ، وسلم تسليما كثيرا

وبعد فانى اقتنيتُ وأنا بمكة سنة ١٣٣٧ نسخة من مسند إمامنا محمد بن ادريس الشافعي المطلبي رحمه الله ورضي عنه ، مطبوعةً بالمطبع الخليلي في الهند ، وبأولها رحلة الامام في طلب العلم رواها عنه تلميذه الربيع بن سليمان الجيزي ، وهي من الخطأ والتحريف بحيث لا يكاد القاريء يفهم كثيراً من مواضعها وقد اعتذر عن ذلك محمد عبد العزيز البانكرموي التالكرامي فقال :

« إعلموا يا أيها الخلان ، من اولي النهى والايقان ، ان في هذه الرسالة المسماة برحلة الشافعي كم من مقام عجزت عن درك مطالبها عند كتابتها وصحتها من كثرة اغلاطها فتركتها على حالها كما وجدتها في المنقول عنه . فاصفحوا عنى ولا تنسوني عن دعائكم بالخير » اهـ

ومنذ اقتنيت هذه الرحلة وأنا في شوق شديد الى نشرها في أيدي القراء صحيحة سالمة من التشويه ، وكنت أريد ـ لذلك ـ أن أقف على نسخ منها مخطوطة أحل بها طلاسم تلك الاخطاء .

ولما يئست من العثور على بغيتي ، رجعت الى نسخة محمد عبد العزيز البانكرموي فأعدت الناظر فيها واجتهدت في رد الكلمات المحرّفة الى ما اعتقدت أنها محرّفة عنه من الكلمات المناسبة للمقام ، واستطعت بذلك أن أستخرج نسخة منها صحيحة ولله الحمد بقدر الامكان ، ولم تبق الا كلمات قليلة استعصت عليّ فأشرت اليها في الهامش . وانما ركبتُ هذا المركب لأن في قلبي حرقة منذ ثلاثة عشر عاماً الى الآن من بقاء هذه الرحلة مجهولة من جمهور القراء ، مع أنها من دفائن تركة السلف التي لا يجوز بقاؤها في زوايا النسيان ، والله هو المعين .

القاهرة : غرة صفر ، ١٣٥٠

محب الدين الخطيب





أخبرنا الامام العالم أبو زكريا يحيى بن علي بن عبد الرحمن القلسي قراءة عليه قال : حدثنا الفقيه أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف المقري في الجامع العتيق بمصر في شهور سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة قال : أخبرنا الشيخ أبو محمد بن فتح المعروف بأبي الحسن المقرى في سنة ثلاثين وخمسمائة ، قال : أخبرنا الشريف الرضي الموسوي أبو اسماعيل موسى بن الحسين بن علي بن اسماعيل بن علي الحسيني المقري [1] في سنة أربع وثمانين وأربعمائة بالجامع العتيق بمصر قال : أخبرنا الشيخ أبو العبّاس أحمد بن ابراهيم الفارسي في ربيع الأول سنة احدى وخمسين وأربعمائة قال : أخبرنا أبو القاسم يحيي بن عبد الله الرجل الصالح قراءة عليه وأنا أسمع ويحيي بن موسى العدل بمصر قالا : حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد المقري الواعظ الكوّار قال : حدثنا أبو الفرج عبد الرزاق حمران البطين قال : حدثنا أبو بكر محمد بن المنذر قال : حدثني الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول :

---

(١) هو غير الشريف الرضي الشاعر فان اسمه محمد بن الحسين (٣٥٩ – ٤٠٦)

فارقتُ مكةَ ـ وأنا ابنُ أربع عشرة سنة لا نبات بعارضي ـ من الابطح الى ذي طوى وعليَّ بُردان يمانيان ، فرأيت ركباً مُنيخةً سلمتُ عليهم فردُّوا علي السلام ، فوثب الي شيخ كان فيهم فقال :

ـ سألتُ من ألقيت علينا سلامه إلاّ ما حضرتَ طعامنا وما كنتُ علمت أنهم أحضروا طعاماً . فأجبتُ مسرعاً غير محتشم ، فرأيتُ القوم بدواً يأخذون الطعام بالخمس و يدفعون بالراحة ، فأخذتُ كإخذهم كيلا يستشنع عليهم مأكلي . قال : والشيخ ينظر اليَّ ساعة بعد ساعة . ثم أخذت السقاء وشربت ريّاً ، وحمدتُ الله تعالى وأثنيت عليه . قال : فأقبل علي الشيخ وقال :

ـ مكيٌّ أنت ؟

قلت : ـ مكيٌّ

قال : ـ قرشيٌّ أنت ؟

قلت : ـ قرشي

ثم أقبلتُ عليه وقلتُ له :

ـ ياعمّ بمَ استدللت عليَّ ؟

فقال : ـ أما في الحضر طعام ؟ من أحب أن يأكل طعام الناس أحبَّ أن يأكلوا طعامه ، وذلك في قريش خصوصاً

قال الشافعي : فقلت : - من أين ؟

قال : - من يثرب مدينة النبي ﷺ .

فقلت : - مَن العالِم بها والمتكلم في نص كتاب الله والمفتي بأخبار رسول الله ﷺ ؟

فقال : سيّد أصبح ، مالك بن أنس (رضى الله عنه)

فقال الشافعي رحمه الله فقلت : واشوقاه الى مالك !

فقال لي مجيباً : عدل الله شوقك ، ألا ترى الى البعير الاورق ؟

فقلت : أجل

قال : هو أحسن جمالنا قياداً ، وأسهلها مشياً ، ونحن ثمانية نفر ، ذلك مما حسَّنَ الصحبة حتى تصل الى مالك

قال الشافعي رضى الله عنه : فقلت : متى ظعنكم ؟

فقالوا : - في وقتنا هذا

فما كان غير بعيد حتى قطروا بعضها الى بعض وأركبوني البعير الذي كانوا وعدوني بركوبه . قال الشافعي رحمة الله عليه : فعلوت على ظهره وأخذ القوم في السير وأخذت أنا في الدرس فختمت من مكة الى المدينة ست عشرة ختمة : ختمة بالليل وختمة بالنهار . ودخلتُ المدينة في اليوم الثامن بعد صلاة العصر ، فأتيت مسجد رسول الله ﷺ ودنوت من القبر فسلمتُ

على رسول الله ﷺ ، ولذت بقبره ، فرأيتُ مالك بن أنس مؤتزراً ببردة متّشحاً بأخرى وهو يقول : حدثني نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر ـ ويضرب بيده على قبر رسول الله ﷺ ـ قال الشافعي رضي الله عنه : فلما رأيتُ ذلك هبتُه الهيبة العظيمة ، وجلستُ حيث انتهى بي المجلس ،فأخذتُ عُوداً من الارض فجعلت كلما أملى مالكٌ حديثاً كتبته بريقي على يدي ومالك ينظر اليَّ من حيث لا أعلم ـ حتى انقضى المجلس وجلس مالك ينتظر العشاء المغرب ولم يرَ أني انصرفت فيمن انصرف، فأشار اليَّ بيده ، فدنوتُ منه فنظر اليَّ ساعة ثم قال لي :

ـ أحَرَميٌّ أنت ؟

قلت : ـ وقُرَشي

فقال : كملت صفاتك ، فلِمَ رأيتك سيء الادب ؟

فقلتُ : وما الذي رأيتَ من سوء أدبي ؟

فقال : رأيتك وأنا أملي الالفاظ لرسول الله ﷺ وأنت تلعب بريقك على يدك

فقلت : عدم الورق ، وكنت أكتب ماتقول

فجذب مالك يدي فقال : مالي لا أرى عليها شيئاً ؟

فقلت : ان الريق لايثبت على اليد ، ولكن قد وعيتُ جميع ماحدَّثتَ به منذ وقت جلستَ الى حين قطعتَ

فعجب مالك من ذلك فقال : أعدْ عليَّ ولو حديثاً واحداً

قال الشافعي (رحمه الله) فقلت : حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر — وأشرت بيدي الى القبر كاشارته — عن النبي ﷺ حتى أعدتُ عليه خمسة وعشرين حديثاً حدثٌ بها من وقت جلس الى وقت قطع المجلس . وسقط القرص وصلى مالك المغرب فأقبل على عبده فقال :

— خذ بيد سيدك اليك

وسألني النهوض معه . قال الشافعي رضي الله عنه : فقمتُ غير ممتنع الى مادعا من كرامة . فلما أتيتُ الدار أدخلني الغلام الى مخدع وقال لى :

— القِبلة من البيت هكذا ، وهذا إناء فيه ماء ، وهذا الخلاء من الدار (وأشار اليه)

قال الشافعي رضي الله عنه : فما لبث مالك غير بعيد حتى أقبل والغلامُ حاملٌ طبقاً فوضعه من يده . وسلَّم عليَّ مالك ثم قال للعبد :

— اغسل علينا

فوثب الغلام الى الاناء وأراد أن يغسل علي أولا ، فصاح عليه مالك وقال :

— في أول الطعام لربِّ البيت ، وفي آخر الطعام للضيف

قال الشافعي رضي الله عنه : فاستحسنتُ ذلك من مالك ، وسألته عن ذلك فقال :

ـ انه يدعو الناس الى طعامه فحكمهُ أن يبتدىء بالغسل ، وفي آخر الطعام ينتظر من يدخل ليأكل معه

قال الشافعي رحمه الله : وكشف مالك الطبق وكان فيه صحفتان في إحداهما لبن وفي الاخرى تمر ، فسمَّى وسميت . قال الشافعي : فأتيت أنا ومالك على جميع الطعام ، وعلم مالكٌ أنا لم نأخذ من الطعام الكفاية فقال لي :

ـ يا أبا عبد الله هذا جهدٌ من مقِلّ ، إني فقيرٌ معدم

فقلت : لاعذرَ على من أحسن ، إنما العذر على من أساء

قال الشافعي : فأقبل مالك يسألني عن أهل مكة حتى دنا العشاء الآخرة ثم قال :

ـ حكم المسافر أن يحمل نفسه بالاضطجاع

قال الشافعي فنمت ليلتي . فلما كان في الثلث الأخير من الليل عند انفجار الصبح قرع مالك على الباب ، فأقرعت فقال لي :

ـ الصلاة يرحمك الله !

فرأيته حاملا إناء فيه ماء ليُسبغ عليَّ ذلك ، فقال لي :

ـ لا يرعك ما رأيتَ مني ، فخدمة الضيف فرض

قال الشافعي رضي الله عنه : فتجهزت للصلاة ، وصلّيت الفجر مع مالك بن أنس في مسجد رسول الله ﷺ ، والناس لايعرفُ بعضُهم بعضاً من الغلَس ، وجلس كل واحد منا في مصلاه نسبّح الله الى أن طلعت الشمس على رءوس الجبال كالعمائم على رءوس الرجال ، فصلّى كلُّ امرئ منا ما قسم له ثم جلس في مجلسه بالامس وناولني الموطّأ أمليه وأقرأه على الناس وهم يكتبون . قال الشافعي رضي الله عنه : فأتيت على حفظه من أوله الى آخره من القراءة وأقمت ضيف مالك ثمانية أشهر ، فما علم أحدٌ من الانس الذي كان بيننا أيّنا الضيف . ثم قدم على مالك المصريون بعد قضاء حجهم زائرين لنبيهم وتسمّعوا الموطّأ ، قال الشافعي رضي الله عنه : فأمليته عليهم حفظاً ، منهم عبد الله بن عبد الحكم وأشهب وابن القاسم ـ قال الربيع : وأحسب انه ذكر الليث بن سعد ـ ثم قدم بعد ذلك أهل العراق زائرين لنبيهم ، قال الشافعي رضي الله عنه . فرأيت بين القبر والمنبر فتى جميل الوجه نظيف الثوب حسن الصلاة ، فتوسمت فيه خيراً ، فسألته عن اسمه فأخبرني ، وسألته عن بلده فقال : في العراق

قال الشافعي رضي الله عنه : فقلت : ـ أيّ العراق ؟

قال : الكوفة

فقلت : ـ مَنِ العالم فيها والمتكلم في نص كتاب الله والمفتي بأخبار رسول الله ﷺ ؟

فقال : ـ محمد بن الحسن وأبو يوسف صاحبا أبي حنيفة رضي الله عنه

قال الشافعي رضي الله عنه فقلتُ : ومتى عزمتم تظعنون ؟

فقال : في غداة غدٍ عند انفجار الفجر

فعدت الى مالك فقلت له : قد خرجتُ من مكة في طلب العلم بغير استئذان العجوز فأعود اليها أو أرحل ؟ وفي طلب العلم فائدة يرجع منها الىَّ عائدة

فقال : ألم تعلم بأن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع ؟

قال الشافعي رضي الله عنه : فلما أزمعت السفر زوَّدني مالك بصاع من اقط وصاع من شعير وصاع من تمر وسقاء فيه ماء . فلما كان في السحر وانفجر الفجر حمل بعضَ الاداوة وسار معي الى البقيع ، فصاح بعلوّ صوته :

ـ مَن معه كراءُ راحلة الى الكوفة ؟

فأقبلتُ عليه وقلتُ له : بِمَ تكتري ولاشيء معك ولا شيء معي ؟

فقال لي : انصرفت البارحة عنك ، وبعد العشاء الآخرة

قرع عليّ قارعُ الباب فخرجتُ اليه فأصبتُ ابن القاسم فسألني قبول هدية فقبلتها ، فدفع اليّ صرّةً فيها مائة مثقال ، وقد أتيتك بنصفها وجعلت النصفَ لعيالى

فاكترىْ لى بأربعة دنانير ودفع اليّ باقى الدنانير وودّعني وانصرف . فسرتُ في جملة الحاج حتى وصلتُ الى الكوفة يوم أربعة وعشرين من المدينة ، فنزلت المسجد بعد صلاة العصر وصليت العصر . فبينا أنا كذلك اذ رأيت غلاما قد دخل المسجد ، فصلى العصر ، فما أحسنَ يصلّي . فقمتُ ناصحاً له ومُشفقاً فقلت له :

ـ أحسنْ صلاتك ، لا يعذّب الله هذا الوجه الجميل بالنار

فقال لى : أنا أظنك من أهل الحجاز فيكم الغلظة والجفاء ، وليس فيكم رأفة أهل العراق ، وأنا أصلّي هذه الصلاة خمس عشرة سنة بين يدي محمد بن الحسن وأبي يوسف فما عابا عليّ صلاتي قط

وخرج مُعْجَباً ينفض رداءه في وجهى ، فلقى ـ للتوفيق ـ محمدَ بن الحسن وأبا يوسف بباب المسجد ، فاستخبرهما ولا عِلمَ لى بهما ، فقال :

ـ هل علمتما في صلاتي من عيب ؟

فقالا : اللهم لا

قال : ففي مسجدنا من قد عاب علي صلاتي

فقالا : اذهب اليه فقل له : بم تدخل في الصلاة

قال الشافعي رضي الله عنه فأتاني فقال لى :

ـ يامن عاب عليّ صلاتي ، بمَ تدخل في الصلاة ؟

فقلت : بفرضين وسنّة

فعاد اليهما وأعلمهما بالجواب ، فعلما أنه جواب من قد نظر في العلم . فقالا له :

ـ اذهب فقل : ما الفرضان وما السنة ؟

فقلت : أما الفرضان الأول النية والثاني تكبيرة الاحرام ، والسنة رفع اليدين

فعاد اليهما وأعلمهما بذلك . فدخلا المسجد ، فلما نظرا الىّ أظنهما ازدرياني فجلسا ناحية وقالا له :

ـ اذهب وقل له : أجب الشيخين

قال الشافعي رضي الله عنه : فلما جاءني علمت اني مسئول عن شيء من العلم ، فقلت :

ـ من حكم العلم أن يؤتى اليه ولا يأتي وما علمت لى اليهما من حاجة ، فان كان لهما الىّ حاجة فليأتياني

قال الشافعي رضي الله عنه : فقاما من مجلسهما الىّ فلما سلّما عليّ قمتُ اليهما وأجلست كل واحد منهما في مجلسه وأظهرت

البشاشة لها وجلست بين أيديهما فأقبل علي محمد بن الحسن وقال لى :

ـ أحَرَميٌّ أنت ؟ قلت : نعم

قال : عربيٌّ أم مولى ؟ قلت : عربي

فقال : مِن أيِّ العرب ؟ فقلت : من وَلَد المطّلب

قال : من ولد من ؟ قلتُ : من ولد شافع

قال : رأيتَ مالكا ؟ قلت : من عنده أتيت

قال لى : نظرتَ في الموطّأ ؟ فقلت : أتيتُ على حفظه

فعظم عليه ذلك ، ودعا بدواة وبياض ، وكتب مسألة في الطهارة ومسألة في الصلاة ومسألة في الزكاة ومسألة في البيوع ومسألة في الفرائض ومسألة في الرهن والحج والايلاء ومن كل باب في الفقه مسألة ، وجعل بين كل مسألتين بياضاً ودفع إليَّ الدرج وقال لي :

ـ أجب عن هـذه المسائل من الموطأ

قال الشافعي رضي الله عنه : فأجبت بنص كتاب الله ومن سنة الرسول عليه الصلاة والسلام واجماع المسلمين حتى أجبت على المسائل كلها . ثم دفعتُ اليه الدرج ، فتأمله ونظر فيه ثم قال لعبده

ـ خذ بيد سيدك اليك

قال الشافعي رضي الله عنه : ثم سألنى النهوض مع العبد

فنهضت غير ممتنع وقد حملت بعض أداتي وحمل الغلام بعضها . فلما صرت الى باب المسجد قال لى العبد :

- ان سيدي أمرني أن لاتصير الى المنزل الا راكبا

قال الشافعي رضي الله عنه فقلت له : قَدِّمْ !

فقدَّم إليَّ بغلة بسرج محلًى . فلما علوتُ على ظهرها رأيت نفسي باكيا . وطاف بي أزقَّة الكوفة الى منزل محمد بن الحسن فرأيت أبوابا واسعة ودهاليز منقوشة بالذهب والفضة ، فذكرت ضيق أهل الحجاز وماهم فيه وقلتُ : أهل العراق ينقشون بيوتهم بالذهب والفضة وأهل الحجاز يأكلون القديد ويمصون النَّوى ! ثم أقبلَ عليَّ محمد بن الحسن وأنا في بكائي ، فقال لي :

- لا يَرُعْكَ أبا عبد الله ما رأيتَ فما هو إلا من قُنيةٍ حلال وبكسبٍ ما يطالبني الله فيه بفرض ، وأنا أُخرج زكاتها في كل عام ، فأسرُّ بها الصديق وأكبتُ بها العدو

قال الشافعي رضي الله عنه : فما بات حتى كساني محمد بن الحسن خلعة بألف درهم بغلية (قال الشيخ أبو القاسم : يعني وازنة) ودخل الى خزانته فأخرج لى الكتاب الأوسط تأليف أبي حنيفة رضي الله عنه فنظرتُ في أوله وآخره ثم ابتدأت الكتاب في ليلتي أتحفظه ، فما أصبحت إلا وقد حفظته - ومحمد بن الحسن لايعلم بشيء من ذلك وكان المشهورَ بالكوفة بالفتوى والمجيبَ في

النوازل - فبينما أنا ذات يوم قاعد عن يمينه إذ سئل عن مسألة أجاب عنها تقليدا وقال :

- هكذا قال أبوحنيفة رضي الله عنه (ووهم عليه في الجواب)

فقلتُ له : - الجواب غير هذا فلولا أن قلتَ فيه بالتقليد لأحسنتُ أدب المجالسة ، ولكنك وهمتَ . والجواب من قول الرجل في هذه كذا وكذا ، وتحتها المسألة الفلانية وفوقها المسألة الفلانية في الكتاب الفلاني

فأمر محمد بن الحسن بالكتاب فأحضر ، فتصفحه ونظر فيه فأصاب القول ما قلتُ ، فرجع عن جوابه الى ما قلتُ ، ولم يُخرج إليَّ كتابا بعدها ، وقال : - لقد أمعنتَ النظر

قلتُ : أتيت على حفظ الكتاب وما علمتُ أنه سقط عليَّ منه حرف ولا سنة ولا ألف

قال الشافعي رضي الله عنه : فاستأذنته في الرحيل ، فقال :
ماكنتُ لآذن لضيف يرحل عني ولا ... له مشاطرة نعمتي [1]

فقلتُ : مالهذا قصدتُ ، ولا له أردت ، ولا رغبة لي الا السفر

قال : فأمر غلامه أن يأتي بكل ما في خزائنه من بيضاء وحمراء ومن الورِق فدفع إليَّ ما كان فيها وهو ثلاثة آلاف درهم

(١) في الاصل تصحيف لم نتبين صوابه

وأقبلتُ أطوف العراق وأرض فارس وبلاد الاعاجم وألقى الرجال حتى كنتُ ابن احدى وعشرين سنة. ودخلت العراق في أول خلافة الرشيد، فعند دخولى بغداد وتقدم رجلي انثني انطلق في أثري غلام فلاطفني وقال: ما اسمك؟

قلت: ـ محمد

قال: ابن من؟

فقلت: ابن ادريس

قال: مَن تكون؟

قلتُ: شافعي

قال لى: مطَّلِبي؟ قلت: أجل

فكتب ذلك في ألواح كانت في كمه وخلّى سبيلي. فدخلتُ الى بعض المساجد أفكر في عاقبة ما فعل، حتى اذا ذهب من الليل النصف كُبس المسجد، فأرعب من كان فيه، وأقبلوا يتأملون وجه رجل رجل حتى أتوا الىّ، فقلت لهم:

ـ لا بأس عليكم، هذه الحاجة والغاية المطلوبة

ثم أقبلوا إلى وقالوا: أجب أمير المؤمنين

قال الشافعي رضي الله عنه: فقمت غير ممتنع فلما أبصرت أمير المؤمنين سلمتُ عليه السلام السنّة، فاستحسن الالفاظ والسياق وميّز ذهنه بين الخطأ والصواب وردّ عليّ الجواب،

ثم قال لى :

ـ نزعم أنك من بني هاشم ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين كل زعم في كتاب الله باطل

ـ فقال لى : فتقول ؟   قلت : نعم

فقال لى : ـ أبنْ لى عن نفسك

قال الشافعي : فانتسبت حتى بلغت آدم عليه السلام بالطين .

فقال لى الرشيد :

ـ ما تكون هذه البلاغة إلا في رجـل من دار عبد المطلب هل لك أن أوليك قضاء المسلمين وأشاطرك ما أنا فيه وينفذ حكمك فيهم وحكمي على ما اشترط وجاء به الرسول ﷺ وأجمعت عليه الامة ؟

قلت : ـ لو سألتني يا أمير المؤمنين أن أفتح باب القضاء بالغداة وأغلقه بالعشي بنعمتك هذه مافعلتُ ذلك أبداً

قال : فبكى الرشيد وقال : هل تقبل من عرض دنيانا شيئاً

فقلت : يكون معجلاً

فأمر لي بألف دينار ، فما برحتُ من مقامي حتى قبضتها . ثم سألني بعض الغلمان والحشم أن أصلهم من صلتي ، فلم تسع المروءة إذ كنت مسئولاً إلا أن قاسمتهم مما أنعم الله عليّ به ، فخرج لي قسم كأقسامهم ، وعدتُ إلى المسجد الذي كنتُ فيه ليلتي . فلما

أصبحتُ تقدَّم فصلّى بنا غلامٌ صلاة الفجر في جماعة وأجاد القراءة . ولحقه سهو في الصلاة فلم يدر كيف الدخول ولا كيف الخروج . فقلت له بعد السلام :

ـ أفسدتَ علينا وعلى نفسك ، فأعدْ

فأعاد مسارعاً وأعدنا . ثم قلتُ له :

ـ ائتني ببياض أعمل لك فيه باب السهو في الصلاة والدخول فيها والخروج منها

فسارع اليَّ بذلك ، ففتح الله قريحتي وكشف عن صدري فألفت له كتاباً لما رأيت من رغبته في العلم من نصّ كتاب الله تعالى وسنّة الرسول ﷺ واجماع المسلمين ، وسميته باسمه ، وهو أربعون جزءاً ويعرف بـ (كتاب الزعفراني) وهو الذي وضعت بالعراق حتى تكامل في ثلاث وستين

وولاني الرشيد صَدَقات نجران وقَدِمَ الحاج فخرجت أسألهم عن الحجاز فرأيت فيها قبّة فلما أشرت اليه بالسلام أمر قائدَ القبة أن يقف وأشار اليَّ بالكلام ، فسالته عن مالك وعن الحجاز ، فقال لي :

ـ قد أربع وأخرف بمصنف

ثم عاودته الى السؤال فقال لي : أشرحُ لك وأختصر

قلت : في الاختصار البلاغة

فقال : انه صحيح الجسم وان له ثلاثمائة جارية يبيت عنده الجارية ولا يعود اليها الا الى السنة . وقد اختصرت لك خبره

قال الشافعي رضي الله عنه : فاشتهيت أن أراه في حال غناه كما رأيته في حال فقره فأتيت الزعفراني فقلت له :

ـ ثَمّ من المال مايصلح للسفر ؟

فقال : انك لتوحشني خاصة والعراق عامة بظعنك عنه ، وجميع مالي فيه لك

فقلت له : بمَ تعيش ؟

قال : الجاه أوسع من المال

ثم نظر الي وحكمني في ماله وأخذت منه على حسب الحاجة

وسرت على ديار ربيعة ومضر ، فلما أتيت الى حران دخلتها يوم الجمعة فذكرت فضل الغسل وما جاء فيه فقصدت الى الحمام فلما سكبت الماء على رأسي رأيت شعر رأسي شعثا فقلت : أحيي سنة في سنة فدعوت المزين فلما بدأ في رأسي وأخذ القليل من شعري دخل قوم من رؤساء البلد فسارع الى خدمتهم وتركني . فلما قضوا ما أرادوا منه عاد الى ما أردته وخرجت من الحمام فدفعت اليه أكثر ما كان معي من الدنانير وقلت له :

ـ خذ هذه ، واذا وقف بك غريب فلا تحقره

فنظر اليَّ متعجباً مما صنعتُ معه ، ويرى الناس . فاجتمع على باب الحمام خلق كثير . فلما خرجتُ عاتبني الناس على فعلي به فقلت :

- انه لو أمكن أكثر مما فعلت لسارعت

فبينا أنا كذلك اذ خرج بعض من كان في الحمام من الرؤساء فقُدمتْ له بغلة فركبها ، فسمع خطابي لهم فانحسر عن البغلة بعد أن استوى عليها وقال لي :

- أنت الشافعي ! فقلت : نعم

فمدَّ الركاب مما يليني وقال لي : بحق سيدك الا ركبت

ومضى بي الغلام مطرقاً بين يديَّ حتى أتيت الى منزل الفتى ثم أتى وقد حصلتُ في منزله فأظهر البشاشة ، ثم دعا بالغسل ثم حضرت المائدة فسمَّى وحبستُ يدي . فقال :

- مالك يا أبا عبد الله ؟

فقلت : طعامك علي حرام حتى أعرف من أين هذه المعرفة

فقال : أنا ممن كنتُ سمعت منك الكتاب الذي وضعتَ ببغداد وأنت لي أستاذ

قال الشافعي رحمه الله فقلت: العلم بين أهل العلم رَحِمٌ متصلة فأكلت بفرحة إذ لم يعرفني الله إلا بيني وبين أبناء جنسي وأقمتُ ضيفهُ ثلاثاً . فلما كان بعد ثلاث عرض عن نفسه

مكارم ، ثم قال :

ـ حول حرّان أربع ضياع ما بحرّان أحسن منها ، أشهدُ أنه ان اخترتَ المقـام فانها هدية مني اليك

فقلتُ : فبم تعيش ؟

قال . في صناديقي تلك (وأشارَ بيده اليها) أربعون ألف درهم أتجرُ بها فتكون لك الضياع وأعيش أنا في التجارة

فقلت : ليس الى هذا قصدتُ ، ولا عن بلدي خرجتُ إلا بغيةَ أن أتعوّض علما يورث حسن الثناء في الدنيا والعافية في الاخرة محمودة صحبته محسوداً عليها بغبطة

فقال لى : فالمال ذن من شأن المسافر

قال الشافعي : فقبضت الاربعين الالف وخرجت من مدينة حرّان وبين يديَّ أحمال الدنانير والدراهم يلقاني الرجال وأصحاب الحديث : منهم أحمد بن حنبل ، وسفيان بن عيينة ، والاوزاعي فما زلتُ أجيز كل انسان منهم على قدر ماقسم له ومعرفته حتى دخلتُ مدينة الرَّملة وليس معي إلا عشرة دنانير فاشتريت بها راحلة واستويتُ على كورها وقصدتُ الحجاز فما زلت من منهل الى منهل حتى وصلتُ مدينة الرسول ﷺ بعد سبعة وعشرين يوما بعد صلاة العصر ، فأنخت راحلتي بازاء المسجد وصليت العصر فائتاً ورأيت كرسيا من الحديد عليه مخدة من

قباطيّ مصر مكتوب عليها بالحرير « لا إله إلا الله محمد رسول الله هارون أمير المؤمنين » قال الشافعي : وحوله أربعمائة دفتر أو يزيدون فبينما أنا كذلك إذ رأيت مالك بن أنس قد دخل من باب النبي ﷺ وقد فاح عطره في المسجد وحوله أربعمائة أو يزيدون يحمل ذيوله أربعة . فلما وصل قام اليه من كان قاعداً وجلس على الكرسيّ وألقى مسألة في خراج العمل . قال الشافعي رحمه الله فلما سمعت ذلك لم يسعني الصبر فقمت قائماً في سور الحلقة ورأيت انساناً بطالا فقلت له :

ـ قل : الجواب كذا وكذا

فبادر بالجواب قبل فراغ مالك من السؤال . فأطرق عنه مالك وأقبل على أصحابه فسألهم عن الجواب ، فخالفوه ، فقال لهم :

ـ أخطأتم وأصاب الرجل

ففرح الجاهل باصابته . فلما ألقى السؤال الثاني أقبل عليّ الجاهل يطلب مني الجواب ، فأقبلت عليه وقلت له :

ـ الجواب كذا وكذا

ـ فبادر بالجواب . فلم يلتفت اليه مالك ، وأقبل على أصحابه واستخبرهم عن الجواب ، فخالفوه ، فقال لهم :

ـ أخطأتم وأصاب الرجل

قال الشافعي رضي الله عنه : فلما ألقى السؤال الثالث قلت له :

ـ الجواب كذا و كذا

فبادر بالجواب ، فأعرض مالك عنه وأقبل على أصحابه فخالفوه في الجواب فقال : ـ أخطأتم وأصاب الرجل

فنادى مالك بأعلى صوته أن ادخل ، ليس هذا موضعك

قال الشافعي : فدخل الرجل طاعة منه لمالك وجثا بين يديه فقال له مالك :

ـ قرأتَ أو سمعتَ الموطأ ؟ قال : لا

قال : فنظرت في مسائل ابن جريج ؟ قال : لا

قال : فلقيتَ جعفر بن محمد الصادق ؟ قال : لا

قال : فهذا العلم من أين لك ؟

قال له : الى جانبي غلام شاب يقول لي : قل الجواب كذا و كذا ، فكنتُ أقول ما يقول

فالتفت مالك و التفت الناس بأعناقهم لالتفات مالك قال : فكسرتُ الحلقةَ عليه . فقال للجاهل :

ـ قم ، ومُرْ صاحبك بالدخول علينا

فدخلتُ عليه ، فاذا أنا من مالك بالموضع الذي كان فيه الجاهل جالساً بين يديه . فتأملني ساعة فقال لي :

- أنت الشافعي ؟ . فقلت : نعم

فضمني الى صدره ونزل عن كرسيه وقال :

- أقعد فأتمّ هذا الباب الذي نحن فيه حتى أنصرف الى المنزل وأئوب اليك

قال الشافعي : فألقيت أربعمائة مسألة في خراج العمل ، فما أجابني أحد بجواب فاحتجت أن آتى بأربعمائة جواب وقلت : الاول كذا وكذا ، والثاني كذا وكذا . وسقط الفرض وصلينا العشاء المغرب ، فضرب مالك بيده اليَّ . فلما وصلتُ المنزل رأيت بناء غير البناء الاول . فبكيتُ . فقال لي :

- مَّ بكاؤك ؟ كأنك خِفتَ يا أبا عبد الله - مما ترى - أني قد بعت الآخرة بالدنيا

قلت : هو والله ذاك

قال : فطِبْ نفساً وقرَّ عيناً هذه هدايا خراسان وهدايا مصر تجيء من أقاصي الدنيا . وقد كان ﷺ يقبل الهدية ويكره الصدقة . وإن لي ثلاثمائة خلعة من رِقّ خراسان وقباطيّ مصر وعندي جواريّ مثلها لم تستكمل الحلم فهى هدية مني اليك ، وفي صناديق تلك خمسة آلاف دينار ، وأخرج منها زكاتها عند كل حول يحول عليها ، فلك منى نصفها هدية مني اليك

فقلت : انك موروث وأنا موروث ، فلا يثبت جميع

ماوعدتني إلاّ تحت ختمي ليجري ملكى عليه فان حضرني أجلي كان لورثتي دونك، وان حضرك أجلك كان لى دون ورثتك

فتبسّم في وجهي وقال : أبيتَ إلاّ العلم

فقلت : لا يستعمل أحسن منه

قال الشافعي : فما بِتُّ إلاّ وجميع ما وعدني به تحت خاتمي فلما كان في غداة صليتُ الفجر في جماعة وانصرفت الى المنزل أنا وهو، وكل واحد منا يده في يد صاحبه، إذ رأيت كراعاً على بابه من مهارى خراسان (١) لو قدّمت المصابيح الى جلودهنّ لأُوقدت، قلت :

ـ ما رأيت كراعاً أحسن من هذا

فقال : هو هدية منى اليك يا أبا عبد الله

فقلت له :

ـ دع منها دابة

فقال : أنا أستحي من الله تعالى أن أطأ قرية فيها قبر نبي الله ﷺ بحافر دابة

فقال الشافعي : فعلمت أن ورع مالك على حاله

قال : فأقمت عنده ثلاثاً ثم ارتحلتُ الى مكة وأنا أشرق

---

(١) الكراع هنا : جماعة الخيل

بنعم الله وأنعمه والقُرَبِ ويزين العلم مخزني (١). فلما وصلت الى الحرم، خرجت العجوز رحمها الله تعالى ونسوة معها فلقيتني وضمتني الى صدرها، وضمتني عجوز كنتُ آلفها وأسميها خالتي وقالت:

- أليس أمك صاحبة ألم يأكل فؤادها عليك (٢)

قال الشافعي: وهي أول كلمة سمعتها في ..... من امرأة (٣)

فلما هممتُ بالدخول قالت لي العجوز:

- الى أين عزمت؟

قلت: الى المنزل

قالت لي: هيهات، تخرج من مكة بالامس فقيراً لامال لك وتعود اليها مثريا مفتخراً على؟

فقلت لها: ما أصنع؟

قالت: اضرب قبابك في الابطح، وناد في العرب أنك تشبع الجائع وتحمل المنقطع وتكسو العاري، تربح ثناء الدنيا وثواب الآخرة

ففعلت ما أمرَتْ وسار بذلك الفعل الرجال على آباط الابل، وبلغ ذلك مالكا رضي الله عنه فكتب إلي يستحثني

(١) هذا الموضع كان في الاصل في غاية الغموض والتحريف

(٢) هذه العبارة ايضاً مضطربة جداً في الاصل

(٣) الكلمات التي كانت في مكان البياض سقيمة جدا

على هذا الفعل ويعدني أنه يحمل لي في كل عام مثل ما .... [1] منه وما دخلت مكة وأنا أقدر على شيء مما كان معي إلا نعلي وخمسين دينارا فوقعت قربة من يدي فناولتني إياها أمةٌ على كتفيها قربة فأخرجت ما معي وأجزتها خمسة دنانير فقالت لي العجوز:

ـ ما أنت صانع ؟

فقلت لها: أجيزها على فعلها

فقالت: ادفع اليها جميع ما معك

قال: فدفعته اليها، ودخلتُ مكة فما بتُّ تلك الليلة إلا مديوناً

وأقام مالك رضي الله عنه يحمل إلي كل عام مثل ما كان دفع إليَّ أول مرة وظيفا احدى عشرة سنة. فلما مات رحمه الله ورضي عنه ضاق بي الحجاز، وخرجت الى مصر فعوضني الله عبد الله بن عبد الحكم فقام بالكلفة

فهذا جميع مالقيت في سفري. فافهم ذلك يا ربيع

قال الربيع: فسألني المزني إملاء ذلك بحضرته فما وجدنا بالمجلس فرصة، فما وقع كتاب السفر لاحد غيري من أصحابه: لاحرملة ولا غيره. والله أعلم

---

(١) بياض بالاصل

فهرس

صفحة

٣ مقدمة الناشر

٥ سند الرحلة الى راويها الربيع بن سليمان

٦ الشافعي وهو يريد في صباه أن يطل على الدنيا من أفق مكة

٧ سفر الامام من مكة الى المدينة وهو ابن ١٤ سنة

٨ اكتشاف الامام مالك نباهة الشافعي ونبوغه

٩ نزول الشافعي ضيفاً على الامام مالك مدة ثمانية أشهر

١١ الشافعي يملي الموطأ على وفود العلماء من مصر وغيرها

١٢ سفر الشافعي الى العراق

١٣ كيف اجتمع الشافعي بمحمد بن الحسن وأبي يوسف

١٥ محمد بن الحسن يمتحن عبقرية الشافعي

١٦ نزول الشافعي ضيفاً في قصر محمد بن الحسن في الكوفة

١٧ الشافعي ينبه محمد بن الحسن الى الصواب من مذهب أبي حنيفة

١٨ الشافعي يطوف العراق وأرض فارس وبلاد الأعاجم

١٨ وصول الشافعي الى بغداد واجتماعه بهارون الرشيد

١٩ الشافعي يأبى أعلى المناصب في دولة الرشيد

صفحة

٢٠ الشافعي يؤلف (كتاب الزعفراني)
٢٠ الشافعي يسأل الحجاج العائدين من المدينة عن أحوال مالك
٢١ رحلة الشافعي الى ديار ربيعة ومضر ونزوله في حرّان
٢٣ أريحية تلميذ للشافعي في حرّان
٢٣ وصول الشافعي الى الرملة في فلسطين وعودته الى الحجاز
٢٥ الشافعي في حلقة مالك بعد إثرائه
٢٦ مالك يتنزل للشافعي عن شطر ثروته
٢٨ اجتماع الشافعي بأمه في مكة وتجرّده من الثروة
٢٩ مالك يرتب للشافعي مرتبا سنوياً من المال
٢٩ خروج الشافعي الى مصر بعد وفاة مالك

